الفصل الرابع

مسألة الانتحال

يعد نبيل سليمان واحدًا من النقاد المتيَّمين الذين رموا وزجوا بأدونيس في مملكة الانتحال، ويتجلى ذلك في حديثه عن الدراسة التي أثبتها أدونيس في كتابه "زمن الشعر" "الكشف عن عالم يظل في حاجة إلى الكشف" وعلى الرغم من تصريح أدونيس بالاعتماد على الدراسات التي كتبت عن الحداثة في الشعر الأوروبي ، وهو تصريح لم يغفله نبيل سليمان هذه المرة، غير أن روحه النقدي المتأجج صوب شخص أدونيس قاده إلى التشكيك في كتاباته النظرية ألا تراه يقول:" والواقع أن كل ما فعله (أدونيس) هو نقل عدد من المعطيات الأوروبية في حداثة الشعر، وإحالتها إلى مفاتيح نظرية، ولكن بحجم البذور التي ستنبت فيما بعد جل مساهمات أدونيس في الدعوة إلى الحداثة، خاصة في الجزء الثالث من (الثابت والمتحول)"[1].

صحيح أن أطروحات أدونيس في الحداثة كثيرًا ما تأتي مغشاة بنسمات أوروبية، بل أن صوت أدونيس يمتزج في كثير من الأحيان بصوت رامبو وبودلير وملارميه ونوفاليس...وغيرهم. لكن ما ذهب إليه نبيل سليمان لا يخلو في نظرنا من مغالطة؛ ذلك لأننا نظلم الناقد حينما نشاطر نبيل سليمان في تعميماته المفرطة ونتناسى على الأقل تجاوز أدونيس لتلك المفاهيم في تنظيره للشعر وللحداثة بوجه عام. ثم إن نبيل سليمان لم يقدم أي مبرر يثبت بموجبه هذا الزعم أو على الأقل مقارنة واحدة بين تلك الأطروحات الأوروبية وبين ما كتبه أدونيس على الحداثة، التي ادعى الناقد أنها ذات مرجعية أوروبية. كل ما في الأمر أننا ألفيناه قد اكتفي بعرض مفهوم أدونيس للحداثة التي خرج بها من الشعر إلى الحياة " فالحداثة ليست كتابة قصيدة ذات شكل مستحدث لم يعرف. إنها موقف وعقلية، طريقة نظر وطريقة فهم،

ممارسة ومعاناة، قبول بالكشف والمغامرة واحتضان المجهول..."[٢]، هذا هو المفهوم العميق للحداثة عند أدونيس وهو المفهوم الذي وقف أمامه الناقد محتارًا، حينما عجز على تشخيص مصدره، والعجز هاهنا نابع من تلك القراءات الأفقية لتنظيرات أدونيس الشعرية والجهل بعلاقاتها. بأطروحات الغربيين خاصة الشعراء النقاد منهم.

ويقتفي حسن الأمراني موقف نبيل سليمان، بل أكثر من ذلك إنه ينفي جذوة الخلق والابتكار والتجاوز التي عرفتها الأدونيسية، يقول والقول للناقد:" إن أدونيس، في مشروعه الضخم لا ينظر في معظم الأحيان، بل هو يترجم، ولاسيما عن الثقافة الفرنسية، سواء أصرح بذلك أم لم يصرح"[٣]. ثم يشير إلى استعارة أدونيس لعنوان مقالته الأولى في "زمن الشعر" "الكشف عن عالم يظل في حاجة إلى كشف" من رينه شار[٤]، وهذا ما صرح به أدونيس في مقابل عدم تصريحه بمفكرين وأدباء آخرين، لاسيما (سارتر ـ Sartre) وآراؤه المتعلقة بالالتزام في الشعر[٥].

والسؤال الذي يطرح نفسه والإجابة عنه اصطياد بالتأكيد: إذا كان أدونيس قد اتكأ في بعض تنظيراته الشعرية على صرح الثقافة الفرنسية، فهل يقف تأثره عند (رينه شار ـ Renéchar) وجان بول سارتر؟ ثم كيف يمكننا أن نفسر اكتفاء حسن الأمراني بالإشارة إلى سارتر، هل هذا الاقتصار مرده إلى القراءة الأفقية لتنظيرات أدونيس النقدية، القراءة التي لم تمكن الناقد من استهداف مصادر وأصول ثقافة الشخص المنقود؟ أم أن ذلك الاقتصار هو قصور آخر يكشف عن بعد الناقد عن مرتكزات النص المنقود؟ هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الإجابة عنها فيما بعد.

وإذا كان حسن الأمراني قد نفي عن أدونيس أي دخول لعوالم التنظير بحجة الترجمة؛ أي ترجمة أفكار الغربيين وإحالتها إلى مفاهيم ومفاتيح نظرية على حد تعبير نبيل سليمان، فإن هذا الدأب يظل خطوة أولى على درب طويل يعود السير فيه هذه المرة لناقد آخر هو كاظم جهاد، الذي تخطى التلميح متجاوزًا إياه إلى ما بعد

التصريح في كتابه الموسوم بـ: "أدونيس منتحلا"، وفيه تناول عمل أدونيس انطلاقًا من بعض هوامشه الأساسية، هامش الممارسة الانتحالية داخل الشعر والتنظير للشعر، تناوله في القسم الأول، وهامش ترجمة الشعر، ويعالجه في قسم ثان، ليقدم في القسم الثالث نموذجًا لخطاب تصريحي انتهي إليه الرجل منذ إقامته في باريس.

ويوضح الناقد سبب تأليفه لهذا الكتاب في سطور فيقول:" ولم يخطر على بالنا وضع كتاب فيه (أدونيس) إلا بعد ما تراكمت حول انتحالاته وثائق وشواهد جعلت كل سكوت يبدو معادلاً للمساهمة في جريمة سطو على التراث الإنساني لا يمكن تبريرها (كما سنلاحظ) بأي من الدوافع الإبداعية وغير الإبداعية"[٦]، فكأن كاظم جهاد بكتابه هذا، يريد أن يضع حدًا لهذه الجريمة التي تراكمت حولها وثائق وشواهد حول انتحالات أدونيس، ومهما يكن من أمر، فإن رحلتنا مع كاظم جهاد لا تتعدى مدار الانتحالات النظرية والفكرية، أما الانتحالات الشعرية فإننا سنكتفي بالإشارة إليها نظرًا لبعدها عن موضوع هذا الكتاب[*].

يفتتح الناقد كتابه بـ:"إحدى عشر نقطة في تفكك شعر أدونيس" وقبل التعرض إلى أهم النقاط الجوهرية التي يتمظهر فيها عنوان هذا التفكك، يصدر هذه النقاط بأسطر يعلن فيها ثورته العارمة وتهجمه الأعمى لا على شعرية أدونيس فحسب، بل على شخصه أيضًا. ومن ذلك قوله:"يفصح هذا التفكك الأدونيسي عن نفسه عبر فراغ جواني وعن "مسرحية" لفظية لم تعد لتقدر أن تتستر عليها لغة فرضت نفسها لفترة عبر جدتها المرحلية وزخرفها البلاغي..."[٧].

و يقول أيضًا:"إن هذا الشعر يبهر بعض القوم لأنهم بالأساس باحثون عما يبهر. والحق أن أدونيس يبهر هؤلاء، وسيؤدي لهم خدمة كبيرة (هي في الأوان ذاته أكبر إساءة وأكبر تمييع للشعر)"[٨].

بعد ذلك يسترسل الناقد في عرض نقاط التفكيك مشفعًا عرضه بشواهد شعرية كان قد استقاها من شعر أدونيس معقبًا عليها بنبرة حماسية ونقد شديد يأمل أن

يستعطف بموجبه كل القراء في التهجم على شخص أدونيس، ألا تراه يقول: " و إذا ما نظرتم إلى فصل الانتحال، ومن بعده إلى فصل الممارسة غير المسؤولة للترجمة، ومن بعدها إلى بعض عناصر السلوك الشخصي والخطاب الإعلامي - الذاتيّ- فلعلكم ستتفقون معنا أن هذا المثال لشاعر لا احترام لديه لمعايير الفن واللغة والمصداقية الشخصية والتجربة الشعرية بما هى تجربة وجود في العالم، نقول إن هذا المثال يجب ألا يشيع وألا يتكرر، ولا يمكن بأية حال الدفاع عنه أبدا"[٩]. وقبل أن نحدد موقفنا من مثل هذه الانتقادات، الانتقادات التي تحولت فيها أشرعة النقد من العلاقة بين الناقد والنص المنقود إلى علاقة جديدة مصطنعة؛ وقل إن شئت مفتعلة بين الناقد والشخص المنقود، وفي منعطف هذا التحول يأخذ النقد الأيديولوجي طريقه ليغزو مساحات شاسعة من دراسة كاظم جهاد.

ويعقد الناقد فصلًا مستقلا لـ"الانتحال الفكري" وفيه يرى أن "صاحبنا (أدونيس) ينتحل من القراءة مثلما ينتحل عبر السمع من الأبعاد مثلما ينتحل من الأقارب. ممن لا يشير إليهم في عمله قط، مثلما ممن يرجع إلى أعمالهم أحيانا. خليط متعدد العناصر والمصادر هو هذا العمل"[١٠].

ثم يمضى الناقد مستشهدًا بنصوص لـ(هايدغر، أكتافيو باث، ديسبانيا، بونو) وهى النصوص المنتحلة. كما هو موضح فيما يلي:

- ينتحل أدونيس من الفصل الأول من كتاب "القوس والقيثارة" لـ: أوكتافيو باث والنص المنحول يتمثل في سعى الشاعر المكسيكي أكتافيو باث إلى "إثبات أن اشتراك شاعرين أو مبدعين في حقبة أو مدرسة، لا يوجد بينهما بالضرورة شعريًا. ما يدعو إلى تأثر أحدهما بالآخر"[١١].

فيكتب أدونيس في الشهر نفسه الذي تلقى فيه ترجمة هذا النص :"أن يكون شاعران، مثلاً، من هذه المدرسة الشعرية أو تلك، أمر لا يعني بالضرورة أن بينهما على الصعيد الإبداعي مشتركًا شعريًا..."[١٢].

أما انتحال أدونيس من هايدغر فيتجلى من خلال قراءته "لـهيلدرلن" في حديثه

عن: جوهر الشعر. ويقف الناقد محتارًا من مقدمة أدونيس التي صدر بها ترجمته لديوان "ستيتية"، والسر في هذه الحيرة مردّه إلى تلك الجمل المأخوذة بكاملها من كتابات الفيلسوف الألماني هايدغر من دون أدنى إشارة إلى مصادرها، ومن المعروف أن دراسة هايدغر عن (جوهر الشعر) كانت مقفاة بخاتمة يقول فيها:" إن عمل الشعر يقوم على التسمية ولأن الشعر ليس تعبيرًا بل هو تأسيس"[١٣]. وإذا بأدونيس يقرر، منذ أول فقرة وكأن الشيء من "عنداياته" "أن "صلاح ستيتية" يصدر في شعره عن حدس يرى أن اللغة بدائية كأنها هى قبل الأشياء، أعنى أنها لا تعمل وإنما تسمى...فليس الشعر تعبيرًا، إنه تأسيس"[١٤].

وينتحل أدونيس من مقالة لناقد تونسي هو "عبد الوهاب المؤدب" فكرتها العامة ليبنى عليها خاتمة كتابه"الشعرية العربية" وعنوان المقالة هو "عن الثقافة المغاربية" المنشورة في عدد "الأزمنة الحديثة" والتي يقرر فيها أن التقسيم إلى شرق وغرب إنما هو تقسيم ميتافيزيقي" محض، وأن كل شرق يتضمن بالضرورة غربه، وكل غرب يتضمن شرقه بالضرورة، وأدونيس حينما أقام خاتمة كتابه "الشعرية العربية" على هذه الفكرة كان عمله هذا من دون إحالة ولا نسبة لصاحبها[١٥].

وبعد هذه المقتطفات السريعة يقدم الناقد للقارئ كمسك ختام لهذا الفصل، انتحال أدونيس لمقالة صحفية كاملة لـ:"جيرار بونو" أحد كتاب "النوفيل أوبسرفاتور"، والتي يعرض فيها لأفكار عالم الفيزياء المشهور" برنار ديسبانيا" وما هال الناقد وأصدقائه هو ما وجدوه في مقالة أدونيس من شبه لهذه المقالة، حيث يتحول التشابه بعد التمحيص إلى تطابق تام[١٦]، ويعرض الناقد هذا التطابق الذي يسميه انتحالا في جداول موضحًا فيها مواطن انتحالات أدونيس من النص الأصلي (نص المقال) فيبين ما حذفه أدونيس من النص الأصلي وما أضافه[*].

وينتقل الناقد إلى "الفصل الثاني" من القسم الأول وهو فصل "الانتحال الشعري" وفيه يكشف عن انتحالات أدونيس من أشعار (بودلير والمسعودي

والنفري والأصمعي والبسطامي وبيرس والشلغماني)، ويستند الناقد - في الكشف عن هذه الانتحالات- إلى الدراسة التي تقدم بها "منصف الوهايبي" لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في موضوع بعنوان "التنافذات النصية في شعر أدونيس". ومن جملة الشواهد التي قدمها على لسان الوهايبي يقول: أدونيس في مفرد بصيغة الجمع وفي قصيدة "تاريخ ملوك الطوائف" مخاطبًا القارئ (...): وأنت افهمني: أيها الضائع، أيتها الشجرة المنكوسة يا شبيهي.

يقرر كاظم جهاد بأن هذا البيت الشعري إنما هو إدغام لبيت بودلير الشهير:"أيها القارئ المرائي، يا شبيهي ويا أخي. ثم يبين انتحال أدونيس من "المسعودى" وموضع الانتحال هاهنا هو جملة معروفة لكل من تصفح المرجع الأساسي للعرب "مروج الذهب" كان قد تكلم بها على لسان أفلاطون والجملة هي:"إن الإنسان نبات سماوي والدليل على هذا أنه شبيه بشجرة منكوسة أصلها في السماء وفرعها في الأرض"[١٧]. فالناقد يحيلنا لنصين الأول لبودلير والثاني للمسعودي، ولا ندرى هل أدونيس انتحل بيته الفارط من الأول أم الثاني، وهنا تبدأ تصريحات الناقد بهذا - الانتحال- تأخذ طريقها إلى التموقع واللاتمايز.

وعن انتحال أدونيس من شعر "البسطامي" فتجسده لازمته في كتاب "التحولات" يقول أدونيس: صدرت أنا المرآة/ عكست على كل شيء. هذا الدأب الأدونيسي هو استعارة حرفية لشطحة البسطامي التي يقول فيها:"كنت لي المرآة فصرت أنا المرآة"[١٨]. كم يرى كاظم جهاد.

وما يأخذه الناقد على أدونيس هو تذويبه للملفوظ المنتحل في سياق أوسع كما في استعادته لبيت "المعرى" المشهور- و في الوقت نفسه يعيب على أدونيس طمسه لمصادره - الذي يقول فيه:

جسدي خرقة تخاط إلى الأرض فيا خائط العوالم خطني

وكتب أدونيس في "قداس بلا قصر":"نحن الجسمان الأولان والموت جسمنا الثالث... أيها الخياط عندي جب مفتوق هل تخطه؟ إن كان عندك خيوط من ريح.

هذه المحادثة كما يرى الناقد موضوعة بكاملها لاستثمار هذه البنية الإدراكية[١٩].

ولم يكتف الناقد بعرض هذه الشواهد بل ألفيناه قد مضى إلى الشاعر الفرنسي "سان جون بيرس"، حيث كشف الناقد عن انتحالات أدونيس لبعض عبارته، وقد مثل لذلك بمقطع كامل لبيرس مقارنا إياه بقصيدة أدونيس"مرثية الأيام الحاضرة" مقفيًا حديثه بنقد شديد اللهجة لشخص أدونيس "الكلمة هنا لها دلالتها ضمن مناخ "مطبخي" و"هضمي" لا ترى فيه إلا رجل وهو يلتهم كل ما أمامه، غير معترف بمصادره ولا هو بالمضيف إليها من "توابله" شيئًا ذا بال"[٢٠].

و يصل هذا التهجم إلى أوج قوته من خلال استعراض الناقد لثلاثة شواهد يوضح فيها انتحالات أدونيس من "الشلغماني" و"الأصمعي" و"سان جون بيرس"، فيعلق عليها متكئا كلية على دراسة "منصف الوهايبي" يقول:"إن الشواهد الثلاث لتكشف عن عمل الأخذ الآلي، مالك إلا أن تأسف لوقوع الأخذ (وهي في نظرنا وهمية وإبهامية)[٢١]. ثم يستند إلى خاتمة منصف الوهايبي التي يقول فيها: "في هذه النصوص الثلاثة يتخذ الشاهد (النص الغائب) ثلاث هيئات: فهو يرد داخل الأقواس منسوبًا إلى صاحبه في الهامش (حالة بيرس) ويرد داخل الأقواس دون أية إشارة إلى صاحبه (حالة الأصمعي) ويرد "منسوبا" إلى صاحبه لكن دون أية علامة تميزه (حالة الشلغماني)./ .من يتكلم في هذه النصوص الثلاثة؟ بيرس أم أدونيس؟ الأصمعي أم أدونيس؟ الشلغماني أم أدونيس؟[٢٢].

إن كل ما فعله كاظم جهاد في الانتحال الشعري هو الكشف عن تأثر أدونيس بالشعراء الغربيين والعرب، وقد استند بصورة خاصة إلى دراسة منصف الوهايبي، وهو استنادًا لم يمكنه بعد من التقاط وكشف مصادر أدونيس الشعرية وحتى النظرية، ويعود ذلك القصور إلى القراءة الأفقية لكتابات أدونيس النظرية

والشعرية، فلو تفطن الناقد إلى تلك المؤثرات الرمزية والسريالية والصوفية والماركسية، وتأثيرات الجاحظ و"عبد القاهر الجرجاني" و"حازم القرطاجني" من قبل وكذا فلاسفة التصوف أمثال "ابن عربي" ثم تأثيرات "رولان بارث" و"جاك دريدا" وغيرهم: أقول لو تفطن إلى شيء من هذه المؤثرات لكان نقده وتهجمه وتطاوله أخطر وأعمق مما هو عليه، ولكن قراءته الجزئية لكتابات أدونيس النظرية والشعرية جعلته يتقوقع داخل شواهد بسيطة لا تمثل إلا جزءًا يسير من الثقافة الأدونيسية.

نعود بعد هذا التعقيب الوجيز إلى الوقوف عند أهم المآخذ التي أخذها الناقد على انتحالات أدونيس من "النفري" يقول:" أنه ينتحل من المواقف و"المخاطبات" للنفري جملاً متتالية سابحة في فضاء نصي بلا إشارة إلى حقيقة كونها لسواه ولا علامة على مصدرها...فهل عمل هنا أيضًا بالإبهام إذ نشر صفحات قليلة من عمل سمح لنفسه في الفترة نفسها كتب "تحولات العاشق" في أواسط الستينات، وهى مسرح الانتحالات هذه، نقول سمح لنفسه بانتحال صفحات أخرى منه؟"[٢٣]. ثم يسرد بعد ذلك مقتطفات من مواقف ومخاطبات النفري، حيث يقابل بينها وبين ما كتبه أدونيس في "تحولات العاشق"، وكان قد منهج ذلك في جملة من الجداول[٢٤].

وما يأخذه منصف الوهايبي على انتحالات أدونيس من النفري هو عدم استطاعة أدونيس رغم الجهد الذي يبذله في توليفها (والمقصود هنا الدلالات الصوفية) توليفًا جديدًا، وصياغتها صياغة جديدة، هذا ناهيك عن عدم قدرته على طمس محمولها الميتافيزيقي، واستنفاذ وظيفتها الأبستمولوجية، وهنا نجد كاظم جهاد يركب في هذا المركب رأي الوهايبي فيبنى من خلاله طعنة نجلاء في الإيقاع الشعري الأدونيسي يقول:"إن الإيقاع في نص النفري يتوالف والحالة ويتناسق والصورة ويتناسب و"التيمة" فاللغة هى التي تخلق الإيقاع وتنهض بنفسها دليلًا

عليه، وليس الإيقاع هو الذي يركب اللغة والإيقاع هو الذي يركب اللغة حتى النظم"[٢٥]. وهذا التلابس بين اللغة والإيقاع هو الذي يجعل من نص النفري نصًا يتعذر توليده، دون تقليد على حد تعبير الوهايبي.

ويخلص كاظم جهاد إلى:"أن أدونيس كما رأينا، لا يطيق الإيقاع الأصمعي وبيرس والنفري (...)، ويظل يرزح بكامل السلبية تحت إيقاع كل منهم"[٢٦].

وهنا نلحظ كيف أن أحكام كاظم جهاد تأتى مشوبة بالإطلاقية في التعميم، ألا تراه ينطلق من النفري كجزء ليعممه على الكل، وهو تعميم يرفضه منطق العلم.

وإذا كان منصف الوهايبي وكاظم جهاد قد ادعيا طمس أدونيس لشواهد النفري، فإن هذا الطمس لا يفهم أبدًا أنه انتحال، وكان من الأجدر أن يقول عنه: تناصًا أو اقتباسًا أوتضمينًا أوأخذًا بالإصطلاح التقليدي.

هذا وقد فاتهما أو بالأحرى لم يطلعا على ما كتبه أدونيس في تأسيسه "للكتابة الجديدة" أين اتخذ من النفري نموذجًا صارخًا لهذه الكتابة، مشيدًا بشكله الشعري أيما إشادة[٢٧]، فأين هذا الطمس؟ ألم تكن هذه الدراسة متقدمة تاريخيًا عن دراسة كاظم جهاد بما يقارب العشرين سنة؟

هذا وقد خصص الناقد لـ"انتحال الشكل الشعري " فصلاً ثالثًا، وضح فيه أن أدونيس قد أقام علاقة انتحال للشكل مع نص الشاعر الفرنسي "أوجين غليفيك" ومثل لهذه العلاقة الانتحالية بموازنة يسيرة بين النصوص الشعرية لـغليفيك، وبين "احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة"، وهى المجموعة الشعرية الأخيرة لأدونيس، وفيها يتجلى تبنيه لتقنية غليفيك[٢٨].

وبعد ما يستعرض الشواهد الشعرية التي تجسد انتحالات أدونيس من غليفيك يعقب عليها قائلا"ما الذي بقى هنا، أخيرًا، من شعرية غليفيك، سوى الهيكل الفارغ والادعاء السقيم لنسخة عن أصل كانت له على الأقل حكمة التوجه إلى ذاته بدعاية تجد غالبًا هدفها في الذات نفسها بالذات؟ هذا الفراغ كله يبرز ولاشك

صرخة أدونيس اليائسة، شبه الطفيلية التي يطلقها في آخر مقطوعة تمامًا من المجموعة..."[٢٩]، هذه مقتطفات من القسم الأول للكتاب:

وفي القسم الثاني يتحدث عن الترجمة، حيث يتعرض إلى ترجمة أدونيس لأعمال "بونفو" عرضًا يندد فيه لسلبيات هذه الترجمة، ومن جملة المآخذ التي يأخذها الناقد على أدونيس في هذا القسم:

- طمس أدونيس للأدوات والظروف والحروف أثناء الترجمة، وهذا ما اصطلح الناقد على تسميته بـ(لطائف اللغة أخطر ما فيها).

- التفسير الحرفي للكلمة والعبارة وهذا ما يفقد النص المترجم شعريته، ويصطلح الناقد على هذا النوع من الترجمة بالترجمة الآلية.

- ملابسات ناجمة عن الزيادة والحذف ويمثل لذلك بترجمة أدونيس للأعمال الشعرية لـ:" سان جون بيرس".

ويتفق كاظم جهاد مع "على اللواتى" في دراسته الموسومة بـ:"جناية أدونيس على سان جون بيرس"، إذ يأخذ على ترجمة أدونيس لأعمال سان جون بيرس تذويبه للخلفيات الأسطورية والدلالات المرجعية[٣٠]، ويختم القسم الثاني بحديثه عن أدونيس ونظرية الترجمة ملخصًا فيها أهم الأخطاء التي وقع فيها أدونيس في ترجمته لأعمال سان جون بيرس، ومنها عدم دقته في القراءة والجهل بالخلفيات الفلسفية والأسطورية للنص المترجم، والتضحية بالقواعد المدرسية على حساب شعرية الترجمة[٣١].

تلكم هى أهم المآخذ التي أخذها الناقد على ترجمة أدونيس لأعمال "بنوفو" و"سان جون بيرس". ومهما تكن مصداقية هذه الأحكام فإننا نعيب على الناقد ادعاءه بأن أدونيس لا يتقن فنيات الترجمة، ألم يترجم أدونيس أعمالاً أخرى غير الأعمال التي أثبتها كاظم جهاد؟ وحسبنا أن نعدد للناقد ما يزيد عن عشرة أعمال مترجمة كان قد ترجمها أدونيس(*). إن تغافل مثل هذه الترجمات، والتركيز على

بعضها إنما هو إجحاف في حق أدونيس، حتى وإن سلمنا بالأخطاء الناجمة عن ترجمة أدونيس لأعمال بونفو وسان جون بيرس، فإن هذا التسليم لا يمنعنا من طرح السؤال التالي: بأي دليل يمكن أن نوازن بين طرفي هذه المعادلة: سوء الترجمة كطرف أول، والانتحال كطرف ثان؟ وهل يسمح لنا البون الشاسع بين الانتحال والترجمة إجراء مثل هذه الموازنة؟

إن الإجابة عن مثل هذه الأسئلة تكشف لنا عن مدى التكلف والتمحل النقدي الذي وقع فيه كاظم جهاد. وحينما نقول بالتكلف فإننا نعنى به الغلو المنهجي، ويتضح ذلك أكثر في القسم الثالث من الكتاب عينه، وهو القسم الذي أخصه بحوار بين "أندريه فيلتر ـ André Filtre" وأدونيس بعنوان :"أدونيس المنفي الكوني"[٣٢].

وإذا كان الحوار يدور حول مفهوم أدونيس للتراث والحرية والشعر والثقافة والحداثة والتاريخ، فإننا نتساءل عن علاقة هذه القضايا بموضوع الانتحال، وهو تساؤل لا نكاد نجد له جوابًا، ومبررًا في دراسة الناقد، وكل ما أدهشه في الحوار هو:"مدى المبالغة الأدونيسية فيه، وتلفيقه نوعًا من المسيرة الشعرية والفكرية والسياسية بالغة الظهرانية. نوع من "الاستقلال" يمارسه أندريه فيلتر عن حقه، كمحاور، في الشك والتساؤل النقدي والقراءة لتضاعيف الكلام"[٣٣].

ويخلص الناقد كاظم جهاد بعد سفره في عوالم الانتحال الأدونيسي تنظيرًا وشعرًا وترجمة وما يتلو ذلك من خطاب إعلامي بين أندريه فيلتر وأدونيس أقول: يخلص بعد ذلك إلى وجهة نظر نقدية يؤكد فيها تهجمه الأعمى، وعداءه اللاموضوعي لشخص أدونيس ومن ذلك قوله:"إن كان كاتبًا حقًا وحديثًا بحق، لا يناضل ضد ما يمكن أن يخترق عمله من ثوابت جمعية وعبارات مكرسة وكليشيات لغوية وأولويات نمطية...لا يناضل ضد هذا فحسب، وإنما كذلك وخصوصًا ضد ما يمكن أن يتغلغل إلى عمله من حساسيات الآخرين وأصواتهم على النحو(الذي

يعمد فيه إلى) طمس صوته الخاص نفسه"[٣٤]، يضيف فيقول:"... فهو إنما ارتكب إزاء نفسه بالذات جنحة سحق الذات وإعدامها على مذابح الآخرين. وفي هذا قصورًا واستحالة لا يلتقيان بشاعر، ولا يمكن تبريرهما البتة"[٣٥].

والخلاصة الرهيبة التي فرضت نفسها على الناقد هى "أن عمل أدونيس بكامله سيظل واضعًا نفسه داخل دائرة من الارتياب والشك، تفسح عن مجال واسع لتوقع اكتشافات جديدة، في مضمار الانتحال والتسلخ..."[٣٦]، وفي هذه الخلاصة تبدأ الإطلاقية في التعميم واضحة والمبالغة مكشوفة لا مستورة، وبموجب هذه الخلاصة وما تقدمها من انتقادات سواء بالنسبة لـ: "حسن الأمراني" أو "نبيل سليمان" أو "كاظم جهاد"، نقول إن انتقادات هؤلاء النقاد جميعًا تتمحور في نقطتين جوهريتين:

١- كل ما كتبه أدونيس لا يعد تنظيرًا بقدر ما هو ترجمة لمقولات الغربيين وخصوصًا الثقافة الفرنسية. وأدونيس في رأيهم لم يصرح بمرجعيته في التنظير للشعر- بل طمس ذلك- إلا أحيانًا.

٢- التأثر بالآخر (الغربيين أو العرب) يعد عيبًا في أطروحات معارضي أدونيس، بل أدى بهم الأمر إلى إضفاء صفة الانتحال على كل أعماله ورحلاته في عوالم التنظير للشعر والكتابة الشعرية.

والواقع أن مثل هذه التهم لا تخلو من تمحلات نقدية يقرها كل باحث موضوعي قرأ كتابات أدونيس النظرية والشعرية قراءة محلل وفنان وبصير، فمسألة تأثر أدونيس بالحركات الأدبية في العالم وكذا التيارات والاتجاهات والنظريات الفلسفية والأدبية أمر لا جدال فيه. وإذا كانت حجة النقاد في تهجمهم المفرط تعود إلى طمس أدونيس لهذه المصادر، فإن هذه الحجة تفتقر لأي سند علمي، بل تعد زيفًا أجوفًا أمام تصريحات أدونيس، ألم يصرح أدونيس باعتماده في الصفحة الأولى

من دراسته "لقصيدة النثر" بالاعتماد على كتاب (سوزان برنار ـ Sosane Purnard) الموسوم بـ"القصيدة النثرية من بودلير إلى يومنا هذا".

(Le poème en prose de Baudlaire jusqu'à se jours)[٣٧]

و بالمنطق نفسه ألفيناه يصرح باعتماده كثيرا على الدراسات التي كتبت عن الشعر الغربي، وذلك في مقالته الأولى من "زمن الشعر" "الكشف عن عالم يظل في حاجة إلى الكشف"[٣٨]. ألم يقل أيضًا "أحب هنا أن أعترف بأنني كنت من بين من أخذ بثقافة الغرب...فقراءة "بودلير" هى التي غيرت معرفتي "بأبي نواس" وكشفت لي عن شعريته وحداثته، وقراءة "مالارميه" هى التي أوضحت لي أسرار اللغة الشعرية وأبعادها الحديثة عند "أبي تمام"، وقراءة "رامبو" و"نرفال" و"بيرتون" هي التي قادتني إلى اكتشاف التجربة الصوفية بمفرداتها وبهائها، وقراءة النقد الفرنسي الحديث هى التي دلتني على حداثة النظر النقدي عند "الجرجاني"[٣٩].

هذه بعض تصريحات أدونيس التي ادعى معارضوه أنه أسدل عليها النسيان ستارًا، تحت ما اصطلحوا عليه بالطمس وعدم الإحالة، وأدونيس نفسه يدافع عن تلك النظرة المبالغة في التأثر بالشعر الفرنسي، وهو الدأب الذي آمن به النقاد الذين نقدوا أدونيس.

وقد نفوا عنه التنظير للشعر ليؤكدوا تهمة الترجمة لأفكار الغربيين، حيث تناسوا ما قدمه أدونيس من إضافات نوعية وتجاوزات فنية لأفكار الآخر، لذلك أنعت أدونيس هذه النظرة بأنها لا تخلو من مبالغة، تصدر عن موقف استلابي مبهور، وهو الموقف الذي فنده أدونيس بحجج دامغة، حيث يقول في هذا الصياغ:"ليت واحدا يقول لنا، في بحث جدي، أين الشكل المحدد، مثلاً، في أية قصيدة فرنسية أو أمريكية، كتبت على منواله " قبر من أجل نيويورك" أو "مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف" أو "هذا هو اسمي" أو "مفرد بصيغة الجمع"[٤٠]. ويطرح أدونيس السؤال التالي: فهل صحيح أن الشعر العربي اليوم ليس إلا أخذًا من الشعر

الفرنسي؟ من يقول هذا القول، ومن يدعي هذا الادعاء لا يعرف الشعر العربي ولا الشعر الفرنسي: إنه لا يعرف الشعر باختصار[٤١].

إن هذه النصوص الأدونيسية لا تعنى إسقاط تأثره بالآخر، أليس هو القائل: "ما من أحد إلا ويتأثر لكن هناك تأثرًا اتباعيًّا وآخر تحويليًّا تفاعليًّا. أرسطو تأثر بأفلاطون وماركس تأثر بهيجل...إلخ، الذي لا يتأثر هو الذي لا يحيا ولا يفكر ولا يتنفس...تأثرت بالحركة السريالية كنظرة، والسريالية هى التي قادتني إلى الصوفية، تأثرت بها أولاً ولكنني اكتشفت أنها موجودة بشكل طبيعي في التصوف العربي فعدت إلى التصوف. تأثرت بالفيلسوف اليوناني.

هيراقليطس ونظرته القائمة على السيرورة والتطور المستمرين. تأثرة بالماركسية و"نيتشه" من حيث القول بفكرة التجاوز والتخطي. تأثرت أيضًا "بأبي تمام" و"أبي نواس" من حيث فهم اللغة الشعرية، وتأثرت أيضًا بفكرة البحث والتجريب في الشعر العالمي الحديث، الأمريكي والفرنسي على الأخص"[٤٢].

هذا النص المطول هو تصريح من أدونيس نفسه بمصادر تأثره، لكن التأثر الذي يعتنقه أدونيس هو التأثر التفاعلي لا الوقوف عند التقليد، التقليد الذي يكون فيه الاكتفاء بالشيء المقلد. أدونيس إذن من أنصار التأثر التجاوزي، وهو ما فعله فعلاً تنظيرًا وممارسة. وإذا كان النقاد قد اتهموا أدونيس بتقليد الحداثة الغربية، وتقليد شعرائها، ونقل تنظيراتها، كما بين "نبيل سليمان" و"حسن الأمرانى"، فهذا الحكم غالبًا ما يكون قائمًا على الاجتزاء وعلى الجهل بالشعر الغربي والشعر العربي معًا.

وإذا كان "بدولير"و"مالارميه" نظريًّا وشعريًّا قد أسسا للحداثة الفرنسية، فإنهما لم يأخذا مفهوم الحداثة من "التراث" الفرنسي وإنما أخذاه من الولايات المتحدة من "أدغار ألان بو"، أكثر من ذلك:

إن مدار آرائهما في الشعر هو نفسه مدار آرائه، حتى أنهما يتبنيان أفكاره نفسها. أليس شعر "رامبو" مليئا باقتباسات وأفكار وأقوال يأخذها من مصادر متنوعة وفي

مقدمتها المصادر المشرقية؟. واقرؤوا "دانتي ـ Danty" و"شكسبير ـ Shakespeare" و"غوتيه ـ Gautier" ألا تجدون في نتاجهم إشارات وأفكار وآراء مأخوذة من تراث شعوب مختلفة؟.

والشيء نفسه ينسحب على "هيلدرلن" و"نرفال" و"شار" و"ميشو" و"سان جون بيرس" و"مایاكوفسكى". هل أخذ مفهوم الحداثة الشعرية من التراث الروسي، أم أنه أخذه على العكس من "بودلير" و"رامبو". و"مالارميه"؟ أليس من المسكنة العقلية حين نتحدث عن هؤلاء، أن نقف عند فكرة أو عبارة اقتبسوها، ونتهمهم بالانتحال مثلما فعل نقاد أدونيس؟

وإذا كان من عيب يقال على أدونيس أنه تأثر بالغربيين في كتابته النظرية للشعر. صحيح هذا ما فعله أدونيس ولكن مفاهيمه النظرية عن الشعر لا تقف عند حدود تأثره بالأخر، بل ثمة إضافات نوعية تتجلى في مفهومه للشعرية والرؤيا الشعرية، والشاعر المبدع.

ذنب أدونيس أنه تأثر بأطروحات الغربيين، فكان هذا التأثر وصمة عار لنشيد جنائزي عنوانه "الانتحال". ألم يتأثر القدامى بمن فيهم الرواد أمثال:"عبد القاهر الجرجاني" و"حازم القرطاجني" و"ابن رشيق" و"ابن طباطبه" و"قدامة بن جعفر" و"ابن قتيبة" بالفكر اليوناني، خاصة الجانب النقدي منه أقول: تأثروا "بأرسطو" و"سقراط" تأثروا بهم في مصطلح الصناعة والموهبة والموائمة بين الوزن وموضوع القصيدة ("ابن رشيق" و"ابن طباطبه" خاصة) وتأثروا بهم في الوحدة العضوية ("الجرجاني" و"حازم القرطاجني").

وإذا كانت الوحدة العضوية من أهم المفاهيم النقدية في نقدنا العربي القديم عند "الجرجاني" و"حازم القرطاجني" (الوحدة بين اللفظ والمعنى وبين أبيات القصيدة)، كل هذه المؤثرات لم تجعل منهم منتحلين.

وختامًا لهذا الفصل نقول: يجب أن يتحرر نقدنا من الأيديولوجية الضيقة، كما يجب عليه أن ينطلق في قراءاته من فعل القراءة، ولا يحكم على رواد الحداثة أحكامًا

تعسفية لا مبرر لها، يجب على "البياتي" ومن حذا حذوه من النقاد أن يقرؤوا ما كتبه أدونيس جيدًّا، وأنا واثق من أنهم قرؤوا، ولكن دعوتي هاهنا تتمثل في إعادة القراءة حتى يتسنى لهم مدى الخطأ في مقولاتهم الزائفة، المقولات التي تصل في بعض الأحيان إلى حد المبالغة والتطرف وما يعتريها من حقد وكراهية مثلما هو الشأن في وصية "صالح جودت" "لعبد الحميد جيده" يقول والقول للموصي: " قال لي (صالح جودت): بصفتك لبنانيًّا اذهب إلى بيروت وكن لمجلة الهلال مراسلاً ثقافيًّا وركز على دور أدونيس الذي بينته لك. وذلك مقابل مكافأة مالية عن كل تقرير ثقافي ترسله"[٤٣].

وأمام هذا التهجم فإننا نرفع وصيتنا "لكاظم جهاد" بأن يقرأ جيدًّا كتابات أدونيس النظرية والشعرية ولا يكتفي بقراءته الأفقية في بعدها السلبي مثله مثل النقاد الآخرين، وذلك من أجل استكشاف نقاط التلاقي استكشافًا واعيًّا بين أدونيس والغربيين. ولعل المقارنات التي أجريناها في ثنايا بحثنا هذا تدل بأن كاظم جهاد وغيره من النقاد الآخرين لم يكتشفوا مدار التأثر بين أدونيس والآخر، وحسبنا أننا قدمنا قائمة طويلة عريضة لمرجعية أدونيس النظرية والشعرية والفلسفية. فكل ما قدمه النقاد لا يعدو في أغلبه الأعم عموميات اتخذوا منها منطلقا للطعن في شخص أدونيس، وتلك الإشارات والإيماءات التي قدموها كانت بمثابة حجج وإنها لحجج زائفة. أيعقل أن نحكم على أدونيس بالانتحال انطلاقًا من بعض الملاحظات والأفكار كثيرًا ما هي ملك للجميع؟ ! ! وحتى الأفكار التي قدمها النقاد لا تشكل إلا النزر القليل من الأفكار الفلسفية واللاهوتية التي تأثر بها أدونيس فعلاً. أين هو أثر الحركات الأدبية من رمزية وصوفية وسريالية وماركسية؟ أين هو أثر الشخصيات الأدبية والفلسفية في فكر أدونيس ؟ أين هو أثر "شيلي" و"نوفاليس" و"ماكس جاكوب" و "ريلكه"؟

إن الحكم على الشاعر أو الناقد بالتأثر سلبًا هو حكم يجب أن يعاد فيه النظر، فالتأثر له مصداقيته ولا يمكن للإنسان أن يبتكر من العدم، وما يصدق على الشاعر

والناقد يصدق على الفلسفات والأديان: ألم تنشأ الفلسفة المسيحية في مهد الفلسفة اليونانية. والفلسفة اليهودية ما كان لها لتقوم لو لم تتخذ من الفلسفة المسيحية مرقدًا لها. وما يقال عن الأديان يقال عن البنيوية والسيميائية والتفكيكية: لم تكن البنيوية لولا الفلسفة الوجودية والماركسية. ولم تكن السيميائية لولا الظواهرية. إنه التداخل والتواشج بين شرايين الفكر الإنساني وليس انتحالاً.

أدونيس واحدًا من الشعراء النقاد المنظرين أراد أن يكتب شيئًا في عوالم التنظير الشعري - انطلاقًا من الآخر دون التماهي فيه في ظل التحول التفاعلي لا التأثر الحرفي- فكتب ونعتقد أن قيمة هذه الكتابات وتأثيرها الحقيقي في المستقبل سيكونان في أوساط الشعراء والنقاد ذوي النزعة المستقلة القوية، فما ذنبه يا ترى؟!!

هوامش الفصل الرابع

(١) (٢) نبيل سليمان: مساهمة في نقد النقد الأدبي، ص٣١.
(٣) حسن الأمراني: الثابت و المتحول في الثابت و المتحول، مجلة المشكاة، ع١٠، س٣، ١٩٨٩ م، ص٤.
(٤) (٥) المرجع نفسه، ص ١٢.
(٦) كاظم جهاد: أدونيس منتحلا، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م، ص١٠.
(*) فيما يتعلق بالدراسات النقدية للجانب الشعري (شعرية أدونيس) يمكن للباحث أن يعود إلى: الدراسة القيمة عن شعرية أدونيس، والتي تقدم بها أسامة درويش في كتابه: مسار التحولات قراءة في شعر أدونيس، الصادر عن دار الآداب البيروتية في طبعته الأولى ١٩٩٢م مبحث لحاتم الصكر عن "صياغات أدونيس النهائية" وقد وازن فيه بين آثاره الشعرية في طبعتها الأولى و الثانية مشخصًا دلالات الحذف والزيادة. ينظر: حاتم الصكر: كتابة الذات- دراسة في وقائعية الشعر، دار الشروق للنشر، ط١، ١٩٩٤م.
(٧) كاظم جهاد: أدونيس منتحلاً، ص١٢.
(٨) المرجع نفسه، ص١٣.
(٩) المرجع نفسه، ص٢٤.
(١٠) المرجع نفسه، ص٢٧.
(١١) (١٢) المرجع نفسه، ص٢٨.
(١٣) (١٤) المرجع نفسه، ص٢٩.
(١٥) المرجع نفسه، ص٣٠.
(١٦) المرجع نفسه، ص٣١.
(*) نص بونو ١٩٨٦م: (Nouvel observateur.٣ février) وفيما يخص نص أدونيس ينظر: مجلة الكفاح العربي- بيروت، ع٤٠٠، ١٥ مارس (آذار) ١٩٨٦م، أما فيما يخص الجدال ينظر: كاظم جواد: أدونيس منتحلا، ص٣٢-٥١
(١٧) كاظم جهاد: أدونيس منتحلا، ص ص ٦٩-٧٠.

(١٨) (١٩) المرجع نفسه، ص٧٠.
(٢٠) المرجع نفسه، ص ٧١.
(٢١) المرجع نفسه، ص ٧٧.
(٢٢) (٢٣) المرجع نفسه، ص ٧٨.
(٢٤) المرجع نفسه، ص ص ٧٩-٨٢.
(٢٥) المرجع نفسه، ص ٨٤.
(٢٦) المرجع نفسه، ص٨٧.
(٢٧) ينظر: أدونيس: تأسيس كتابة جديدة، مجلة مواقف البيروتية، مج١٦-١٨، ع١٧-١٨، أيلول كانون الأول ١٩٧١م، ص ص ٦-١٠.
(٢٨) كاظم جهاد: أدونيس منتحلا، ص ٨٩-٩٢.
(٢٩) المرجع نفسه، ص ص٩٣-٩٨.
(٣٠) المرجع نفسه، ص ص٩٨-١٤٦.
(٣١) المرجع نفسه، ص ص١٥٢-١٥٦.
(*) يمكن للباحث أن يعود إلى: أدونيس: ها أنت أيها الوقت، ص٦.
(٣٢) كاظم جهاد: أدونيس منتحلا، ص ص١٦٣-١٧٥.
(٣٣) المرجع نفسه، ص١٦٧.
(٣٤) المرجع نفسه، ص١٧٧.
(٣٥) (٣٦) المرجع نفسه، ص١٧٨.
(٣٧) ينظر: أدونيس: في قصيدة النثر، مجلة شعر، ص٧٥.
(٣٨) المرجع نفسه، ص٨.
(٣٩) أدونيس: الشعرية العربية، ص ص٨٦-٨٧.
(٤٠) أدونيس: فاتحة لنهايات القرن، ص٢٦٦.
(٤١) المصدر نفسه، ص٢٦٧.
(٤٢) المصدر نفسه، ص٢٦٧.
(٤٣) عبد الحميد جيده: أدونيس بين مؤيديه و معارضيه، مجلة فصول (الأفق الأدونيسي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٩٥.

خاتمة

تعرضنا في هذا الكتاب إلى أهم المسائل الخلافية التي اختلف فيها النقاد مع أدونيس، حيث عددنا هذه المسائل في أربع نقاط أساسية، تتمحور النقطة الأولى حول موقف أدونيس من التراث، وهو موقف عدائي حسب ما جاء في أطروحات النقاد. أما النقطة الثانية تنحصر حول مشكلة المنهج الذي تبناه أدونيس في"الثابت والمتحول" وما انتهي إليه هذا المنهج من تعارضات كبيرة في المفاهيم، هذا ناهيك عن الخلط بين مختلف الاتجاهات، وتتمحور النقطة الثالثة حول مسألة تعارض المفاهيم واضطرابها كما هو في نقد نبيل سليمان، والنقطة الرابعة تتمثل في انتحالات أدونيس الفكرية والنظرية والشعرية، كما هو الشأن في أطروحات كاظم جهاد.

وما نلحظه عمومًا هو إجماع النقاد على دحر ما قدمه أدونيس من تأملات نظرية للكون الشعري. والواقع أن هذا التهجم لم يكن موجها لكتابات أدونيس النظرية، بقدر ما هو موجه لشخص أدونيس، إنه تهجم كان من منطلق فكر خاطئ أساسه وجوب التقوقع فيما هو سائد، ودون الخروج إلى أدنى خط يشكل معادلة تَماسٍ مع فضاءات النقد الغربي والعربي.

إن نقد النقاد لأدونيس وفي مقدمتهم (عبد الله عبد الدائم، نبيل سليمان، حسن الأمراني، كاظم جهاد) هو نقد لا يطمئن إليه القارئ الموضوعي؛ ذلك لأنه وليد تعصب لأيديولوجيات معينة، واتجاهات وميول بل أغراض شخصية، تفقد في الكثير من الأحيان مصوغاتها؛ لأن التعصب لأيديولوجية ما لا ينتج إلا أشكالًا نقدية فاشلة.

إن السؤال المعرفي بامتياز: هل أدونيس رفض التراث جملة وتفصيلًا؟ والجواب

كلا. أدونيس لم يرفض التراث جملة وتفصيلا وإنما رفض الثابت لعجزه عن مسايرة روح العصر وتبنى المتحول؛ لأنه كفيل بهذه المسايرة. وهل استطاع منهج أدونيس أن يحتضن ثنائية الثبات والتحول في الثقافة العربية؟ ليس بإمكان منهج أدونيس أن يحتضن كل ما هو ثابت وكل ما هو متحول، فنظرية الثبات والتحول هي نظرية غير شاملة، وهل التعارض في المفاهيم هو ذلك التعارض الذي أقر به نبيل سليمان؟ وإذا كان الأمر كذلك فبأي حق نتفق مع الناقد في عزله للكثير من الآراء الأدونيسية عن سياقاتها الموضوعية من أجل إقامة الحجة على توكيد التعارض؟ وهل كتابات أدونيس النظرية والفكرية والشعرية ترزح كما قال كاظم جهاد في لجة الانتحال؟ والله كلا.

أمام هذه الأسئلة والأجوبة فإننا ندعو أولئك النقادإلى ضرورة قراءة ما كتبه أدونيس جيدًا. ألم يصرح أدونيس بعظمة شكل الكتابة الشعرية لدى النفري في سنة ١٩٧١م، وهو التصريح الذي أغفله كاظم جهاد، فكتب لنا ضمن كتابه "أدونيس منتحلا" عبارة "النفري منحولا".

صحيح أن أدونيس تأثر بالنفري، وإذا كان من عيب يقال عنه أنه تأثر بالغربيين في كتاباته النظرية عن الشعر، وأنه استوحى جل أفكاره من أطروحاتهم، واتخذها أصلا وعاد من هذا الأصل ليقدم قراءة في التراث العربي. صحيح هذا ما فعله أدونيس، ولكن تأملاته في الشعر حسب ما كشفته فصول هذا الكتاب، لم تقف عند هذا الحد، بل ثمة إضافات نوعية تتجلى في مفهومه للشعرية والرؤيا والشعرية والشاعر المبدع، وهى إضافات من شأنها أن تقدم خدمة جليلة لحركية نقدنا الأدبي.

هذا وقد تجاهل النقاد أهم هدف كان يرمى إليه أدونيس، إنه تأسيس كتابة جديدة لا عهد لنا بها من قبل، كتابة تختلف عن الكتابة التي نادى بها النقاد العرب القدامى والنقاد الغربيين الذين فهموا الكتابة فهمًا آليًّا وهو الفهم الذي يتنافى مع مفهوم أدونيس لها. إن الأفق الذي رسمه أدونيس للكتابة الشعرية الجديدة في حقول الملامح والسمات العامة التي حددها، هى أكبر من تلك السمات التي حددها

النقاد العرب القدامى، بل هى أكبر من حديث النقاد الغربيين الذين تأثر بهم أمثال: "رولان بارث"، و"جاك دريدا"، خصوصًا في القول بانفتاح النص والاختلاف.

إننا نعترف "برولان بارث" و"جاك دريدا" وإسهاماتهما النقدية، ولكن تأملاتهما النقدية تنأى عن التصور الذي تطرحه الكتابة الشعرية الحقة، وما عساها أن تكشف عما يكتنزه نص "مفرد بصيغة الجمع" لأدونيس-على سبيل المثال- كنموذج صارخ للكتابة الجديدة، هذا النص يتأسس بناء على اعتقاد مفاده: كسر أية علاقة بين المبدع والوجود، من هنا يبدأ النص في التزلج من أرضية أسطورية، تبدو فيها علاقة النص بمبدعه قائمة بين النص والآلهة الأسطورية، بل إن هذا النص يتخذ من الرموز الرياضية وحروف التهجي أشكالاً هندسية لا عهد لنا بها، علاوة على اللغة الجديدة التي كتب بها. فكيف يمكن لآليات الكتابة الغربية إزاحة الستار عن واحد من هذه الأشكال؟ أجل يمكنها أن تكون إجراءً مساعدًا في الاهتداء إلى تلك المدلولات المنزاحة.

إن الانقطاع والعدوى النسبية التي نرفع رايتها اليوم ضد صرح النقد الغربي، لا تعني بالضرورة الحط من قيمته، والتخلي عنه كلية، بقدر ما تعني ضرورة التفاعل مع نقاطه الإيجابية وفقًا لمقتضيات نصنا الشعري وما يطرحه من تصورات جمالية، يجب أن تكون مماثلة لأبجديات النقد ولا تحيد عنها.

الاستفادة إذن من الآخر يجب أن تكون في حدود ما يسمح به القانون الجمالي للنص الشعري، في ضوء مفاهيم نقدية تسمح بملامسته من الداخل، ولا يهمنا طبيعة هذه المفاهيم أو مصدرها، المهم فيما إذا كانت هذه المفاهيم تقدم خدمة للنص الشعري. أقول: لا يهمنا مصدر هذا التصور سواء لفيلسوف غربي أو عربي أو لأديب أو لمنظر أو لمؤرخ أو لناقد، المهم هو الكشف عن الخصوصية الجمالية والمعرفية للنص الشعري وكفى.

لقد كشفت هذه الدراسة المتواضعة أن تأملات أدونيس النظرية عن الشعر لم تخلق بين عشية وضحاها، إنما هى وليدة تفاعل بين ثقافات شتى، منها ما هو

فلسفي ومنها ما هو فكري ومنها ما هو نقدي. فقد استفاد من النقد الماركسي ومن مقولات أدبيات الرمزيين الفرنسيين والسرياليين والوجوديين، وهى كلها مذاهب وتيارات غربية، كما استفاد من أطروحات رولان بارث وجاك دريدا ونوفاليس، واستفاد أيضًا من أطروحات النقاد والفلاسفة القدامى مثال: عبد القاهر الجرجاني والجاحظ وحازم القرطاجني، كما استقى أيضًا بعض أفكاره من فلاسفة التصوف أمثال: ابن عربي والقشيري والنفري

. غير أن إفادته من هؤلاء جميعًا تتخذ محورين رئيسيين، محور اصطلح عليه باستفادة التوازي والآخر أسميه استفادة التضاد، فهو تارة يثور عليهم وتارة أخرى يؤيدهم وينسج على منوال أفكارهم تصورا آخر عن الشعر.

أدونيس وهو يمخر عباب هذا المحيط الثقافي وما يكتنزه من ركام معرفي، أجده يخط ضفاف علوم وأفكار فلسفية كانت أم أدبية، أقول فلسفية؛ لأن تأثره بالفلاسفة - خصوصًا الفيلسوف الألماني هيدجر- أكثر من تأثره بالأدباء والنقاد. لاسيما الفلسفة الصوفية والظواهرية. من هذه المشارب وبعد تجاوز كبير وخلق هو من صنع أدونيس، وبعد كشف وتخطي لأسطورة النموذج تأتى إسهاماته في مفاهيم هى أقرب إلى النقد.

أدونيس إذن: هو ناقد من طراز جديد قرأ كل شيء مجازًا ليفرز لنا بعد هذه القراءة تأملات نظرية عن الشعر والشاعر، وهى التأملات التي أخذت شكل التنظير النقدي في بعض منعطفاتها وتجلياتها. وعلى الرغم مما قدمه النقاد العرب والأجانب قدماؤهم ومحدثوهم فيما يخص مسائل هذا الكتاب، إلا أن نقدنا العربي اليوم واستنادًا إلى جدارة التصور الذي طرحه أدونيس، آن له ليقول: وأخيرًا جاء أدونيس.

وما بقى لي سوى أن أقول: في خاتمة هذا الكتاب المتواضع بأن هذا المجهود الذي

قدمه أدونيس دلالة واضحة على تفتح الوعي بالتنظير الشعري وبداية نضجه في العالم العربي، ونرجو أن يضيف كتابنا هذا حلقة جديدة في سلسلة هذا الوعي الجديد.

قائمة المصادر والمراجع
حسب الترتيب الأبجدي

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

- أدونيس(علي أحمد سعيد)

١- مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

٢- زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

٣- الثابت والمتحول(الأصول)، دار العودة، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.

٤- الثابت والمتحول(تأصيل الأصول)، دار العودة، بيروت، ط٤، ١٩٨٦م.

٥- الثابت والمتحول(صدمة الحداثة)، دار العودة، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.

٦- فاتحة لنهايات القرن، بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٧- كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

٨- الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م.

٩- ها أنت أيها الوقت، سيرة شعرية ثقافية، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

ثانيا المراجع بالعربية:

- جهاد(كاظم):

١٠- أدونيس منتحلا: أفريقيا الشرق، دار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

- جيده (عبد الحميد)

١١- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م.

- الجمحي(ابن سلام):

١٢- طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٥٢م.

- درويش(أسامة):

١٣- مسار التحولات، قراءة في شعر أدونيس، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

- هلال(محمد غنمي):

١٤- النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٤٧م.

- أبو زيد (نصر حامد):

١٥- إشكاليات القراءة وآليات التأويل: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.

- زراوط:

١٦- الحداثة في النقد المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٩٧م.

- حرب(علي):

١٧- الممنوع والمتمنع، نقد الذات المفكرة، الدار البيضاء، بيروت، الحمراء، ط١، ١٩٩٥م.

- سلام(رفعت):

١٨- بحث عن التراث، بحثا عن التراث العربي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.

- سليمان(نبيل):

١٩- مساهمة في نقد النقد الأدبي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

- الصكر(حاتم):

٢٠- كتابة الذات: دراسة في وقائعية الشعر، دار الشروق للنشر، ط١، ١٩٩٤م.

- عباس(إحسان):

٢١- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط١، د ت.

- العكش(منير):

٢٢- أسئلة الشعر، بيروت، د ط، ١٩٧٩م.

ثالثا: المراجع المترجمة:

- هيدجر(مارتن):

٢٣- في الفلسفة والشعر، ترجمة عثمان أمين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

- غارودى (روجيه):

٢٤- حوار الحضارات، ترجمة عادل العوال، سلسلة زدني علما، دار عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

رابعا: الرسائل الجامعية:

- قويدري محمد الطيب:

٢٥- الموقف النقدي لأدونيس من التراث،(رسالة ماجستير)، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ١٩٩٢م.

خامسا: الدوريات:

- مجلة الآداب البيروتية: ع٣-٤، س٦٤، آذار(مارس)، نيسان(أبريل)، ١٩٩٨م.
- مجلة آمال: تصدرها وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ع٥٣، ١٩٨١م.
- مجلة الكفاح العربي: بيروت، ع٤٠٠، ١٥ مارس(آذار)، ١٩٨٦م.
- مجلة مواقف البيروتية: مج١٦-١٨، ع١٧-١٨ ، أيلول. كانون الأول، ١٩٧١م.

- مجلة المعرفة السورية: مج٣٠، ع١٧٥، ١٩٧٦م.
- مجلة المشكاة: المغرب، ع٧، س٢، ١٩٨٧م.
- مجلة المشكاة: المغرب، ع١٠، س٣، ١٩٨٩م.
- مجلة الفكر العربي: معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، ع٢، ١٥تموز(يوليو)، ١٥آب أغسطس، ١٩٧٨م.
- مجلة فصول: (الأفق الأدونيسي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج١٦ ،ع٢، خريف ١٩٩٧م.
- مجلة شعر البيروتية: ع١٢، ربيع ١٩٦١م.